برعاية أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب

المجلد: (السادس)

العدد: (الرابع عشر) أكتوبر 2024

International Journal of Arabic Language and Literature Research

المجلة الدولية لبحوث اللغة العربية وآدابها

(IJALR)

مجلة علمية دورية محكمة

تصدرها الجمعية العربية لأصول التربية والتعليم المستمر

(ASFC)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353

بحث بعنوان:

الاقتباس والتضمين في شعر أبي البقاء الرندي (دراسة تحليلية).

إعداد:

د.يوسف غازي يوسف العتوم.

دكتوراه لغة عربية أدب ونقد.

(الأردن).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

الملخص.

تناول هذا البحث ظاهرتي الاقتباس والتضمين ودورهما في شعر أبي البقاء الرندي ودورهما في توضيح المعنى وخدمته، ويهدف هذا البحث أيضاً إلى الوقوف على مظهري التضمين والاقتباس ودلالتهما في قصائد الشاعر وتأثيرهما في التماسك النصي وتوضيح المعنى.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف الظواهر اللغوية قيد الدرس داخل ديوان أبي البقاء الرندي وتحليل هذه الظواهر؛ لكشف دور التضمين والاقتباس في توضيح رؤية الشاعر وتوصيل أهدافه، وإبراز مدى قدرته في استخدام هاتين الظاهرتين للتعبير عن مقاصد معينة.

الكلمات المفتاحية: (التضمين، الاقتباس، أبو بقاء الرندي).

Abstract

Quotation and inclusion in the poetry of Abu Baqa al-Randi

(An analytical study).

This research dealt with the phenomena of quotation and implication, their role in the poetry of Abu al-Baqa al-Randi, and their role in clarifying

and serving meaning.

This research also aims to investigate the two aspects of inclusion and quotation and their significance in the poet's poems and their effect on textual cohesion and clarification of meaning.

The research followed the descriptive and analytical approach in describing the linguistic phenomena under study in the collection of Abu al-Baqa al-Randi and analyzing these phenomena.

To reveal the role of inclusion and quotation in clarifying the poet's vision and communicating his goals, and to highlight the extent of his ability to use these two phenomena to express certain goals.

Keywords: inclusion, quotation, Abu Baqa al-Randi.

الاقتباس والتضمين في شعر أبي البقاء الرندي (دراسة تحليلية).

مقدِّمة.

تنبثق أهمية دراسة الظواهر الشعرية كالاقتباس والتضمين وغيرهما من كونها متعلقة بالجوانب الإبداعية للشعر، فتوظيفهما يعني توظيف مخزون لا حدود له من التراث الديني والأدبي والتاريخي وغيرها، كما يُظهر درجة متقدمة من ثقافة المبدع وإلمامه بالجوانب التاريخية والخلفية الثقافية وراء المعنى الذي يقصد الكتابة عنه.

إضافة إلى بناء علاقة متينة من الثقة بين القارئ والمبدع من خلال الخلفية الحضارية التي قد تكون مشتركة بينهما؛ ليكون العمل الأدبي جسرًا لربط المقاصد والمعاني الجديدة، بما ينتمي إليها من التراث القديم، فيصير للمعنى قيمة أكبر ومصداقية مستمدة من الثقة والاعتزاز بالتراث.

ويكشف العمل الأدبي شعرًا كان أو نثرًا عن مدى مهارة الأديب في التوليف بين النصوص المختلفة ودمجها في عمل جديد، دون إتلاف معنى القديم أو طغيانه على المعنى الجديد، فيصير بالتالي عملًا مكررًا لا قيمة له، وإن وظّفت الظواهر الشعرية بشكل دقيق؛ فإن النص الناتج عن استدعاء النصوص وتفاعلها، مضافًا إليها رؤية المبدع وطريقته الخاصة في التعبير بمزج الموروث القديم مع الجديد المبتدع؛ عندها يكون النصّ ساحر المعاني وذا قيمة عالية.

وسواءً أكانت هذه الصلة اتفاقًا أو اختلافًا، فإن أبسط حكم نطلقه على النص إنما يكون مبعثه هو مقارنة هذا العمل بما يشبهه في مجاله عند السابقين، كذلك لا بد للمتلقي أن يكون واعيًا ومدركًا لمعاني النص وارتباطه بما سبقه من أعمال؛ ليجيد الحكم عليه وتلقيه جماليًّا وفنيًّا ويفهم مهارة الكاتب في سوق النصوص التراثية ومزجها بطريقة دقيقة وبشكل مناسب، إضافة إلى مهارته في اختيار ما يضمنه ومتى وكيف.

ولما كانت النصوص وثيقة الصلة بثقافة القارئ الدينية والأدبية والتاريخية والإنسانية، أثرت في المتلقي وجعلته يدرك أنه كلما اتسعت ثقافته إزداد إحساسه بجمال النص الذي يتفيأ ظلاله، كذلك فإن المبدع يدرك جيدًا أن نجاح استخدامه للموروث رهن بتوظيفه بما يتقبله المتلقي ويستطيع أن يتفاعل معه بشكل أو بآخر.

وتجلت ظاهرتا الاقتباس والتضمين عند الرندي في كثير من قصائده وقصرها على موضوعات محددة كالمدح والرثاء- كما سيأتي- ولجأ إليهما للتعبير عما يريد من المعاني، وسنقف تباعًا عند دلالة استخدامه لها، ومدى أثرها على مقاصد الشاعر.

أهمية البحث.

جاء هذا البحث ليقدّم تصوراً وافياً عن استخدام ظاهرتي التضمين والاقتباس في شعر الرندي على وجه الخصوص، وأثرهما في توجه وتوضيح وخدمة النص و المعنى، وسيكون

ديوان الرندي([1]) ميدانا للتطبيق لأنه من أبرز أدباء الأندلس تلك الحقبة الزمنية التي تمثل جزءًا لا يتجزأ من الأدب العربي القديم.

عمدت الدراسة إلى تحليل أبيات الرندي بشكل مختلف؛ إذ قصدت إلى معرفة مرجعية كل بيت، وهل هو مكتوب بانفراد من قبل الشاعر، أم أنه استفاد فيه من شعر شعراء آخرين، أو اقتبس صوره البلاغية من القرآن الكريم.

أسئلة الدراسة.

تأتي الدراسة لتجيب عن التساؤلات الآتية:

---

١. هو أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرُّنْدِي الأندلسي (٦٠١ هـ -٦٨٤ هـ الموافق: ١٢٠٤ - ١٢٨٥ م) وهو من أبناء مدينة تسمى رندة بالأندلس وتعود نسبته إليها. كان فقيها ومن حفظة الحديث. وبارعاً في نظم الكلام ونثره، أجاد في المدح والغزل والوصف والزهد.

ينظر: (المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٤: ٤٨٦). عاصر الفتن والاضطرابات التي حدثت من الداخل والخارج في بلاد الأندلس، وشهد سقوط معظم القواعد الأندلسية في يد الإسبان. تعود شهرته إلى قصيدته التي نظمها بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية ووسمها بـ (رثاء الأندلس).

وقال عنه عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيها حافظاً فرضياً له مقامات بديعة في شتى أغراض شتى وكلامه نظماً ونثراً مدوناً. كان على صلة بملوك عصره بني نصر المعروفين ببني الأحمر فقد نظم قصائد في مدحهم، وهنأهم بالأعياد والمناسبات وشاركهم في أحزانهم برثاء من يتوفى منهم.
علاوة على أنه كان ذا صلة بأدباء عصره كصلته بابن عبد الملك المراكشي وأبي العباس بن بلال الجزيري الوزير، والفقيه أبي الربيع بن حبيب، وابن أبي العافية، وأبي الحجاج المالقي، وأبي بكر النجار الإشبيلي، وأبي بكر البردعي، وأبي القاسم بن الوزير أبي الحجاج بن الحقالة. أما مؤلفاته فالمعروف منها سبعة: بعضها مفقود وبعضها لم يزل محفوظا، أبرزها كتاباه: « الوافي في نظم القوافي»، و«روضة الأنس ونزهة النفس»، والأول كتاب في نقد الشعر والثاني كتاب تاريخ وثقافة().

وأما ديوانه الشعري الذي كان مدوناً إلى عهد ابن عبد الملك المراكشي (٧٠٣هـ) فهو مفقود، ولكن أشعاره مبثوثة في كثير من المصادر، وجاء نصيب كبير منها في الإحاطة ووقف محمد رضوان الداية على قدر طيب منها في حدود عشرين قصيدة في موضوعات مختلفة فألحقها في آخر كتابه عن الشاعر. ينظر: (الإحاطة، ٣/٣٦٠ - ٣٧٥).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

1) هل ظهرت ظاهرتي التضمين والاقتباس بشكل كبير في الديوان؟

2) ما هي الدلالة التي أفادها استخدام التضمين والاقتباس في الديوان؟

3) ما هو أثر التضمين والاقتباس على المعاني ودلالتها في الديوان؟

منهجية الدراسة.

تتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع ظاهرتي التضمين والاقتباس في الديوان وجمع الشواهد وتحليلها وبيان تأثيرهما على المعنى ودورهما في توضيح.

الدراسات السابقة.

على الرغم من كثر الدراسات التي تناولت ظاهرتي التضمين والاقتباس إلا أن الباحث- وحسب اطلاعه- لم يعثر إلا على دراسة واحدة عرضت لظاهرتي الاقتباس والتضمين ضمن مباحثها في شعر أبي البقاء الرندي، وهي: (دراسة العزاوي، غسان حميد ابراهيم، وأمل ناجي محمد علي الدليمي. «شعر أبي البقاء الرندي ٦٨٤-٦٠١ هـ: دراسة موضوعية- فنية» رسالة ماجستير. جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٤).

تمهيد.

لم يكن التضمين بهذا المفهوم- أي أخذ شطر من شعر شاعر آخر والاستفادة منه- لم يكن أمرًا غير معروف عند القدماء، بل كانوا لا يكثرون منه ولا يتغنون بمن يستخدمه؛ لأنه ربما كان أقرب إلى مفهوم السرقة الشعرية مما يهوِّن قدر ومرتبة الشاعر الذي يستخدمه، وكان ينظر إليه أنه عجزٌ في الشاعر ودليل ضعف وانعدام في الابتكار، ثم شاع استخدامه لاحقاً في الشعر العباسي في نطاق محدود.

وبالانتقال إلى الشاعر الرندي نجده قد برع في استخدام التضمين في عرض أغراضه الشعرية وخدمة المعاني وتوضيحها.

المطلب الأول: مفهوم الاقتباس والتضمين.

الاقتباس لغة: مأخوذ من قبس «القبس: النار. والقبس: الشعلة من النار. ويقال: قبست منه ناراً أقبس قبساً فأقبسني أي أعطاني منه قبساً، وكذلك اقتبست منه ناراً، واقتبست منه علماً أيضاً أي استفدته» (٢)، وفي الاصطلاح: هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن لا يقال فيه: قال الله أو نحوه، فإن ذلك حين إذا لا يكون اقتباس (٣)، ومن أمثلة

٢. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م، مادة قبس.

٣. ابن معصوم، صدر الدين المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هاني شاكر، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٩٦، ص ١٢٩.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

الاقتباس كقول ابن الرومي:-

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي.

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع.

هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿**رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ (إبراهيم، آية: ٣٧)، لكن معناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات وقد نقلها ابن الرومي إلى جناب لا خير فيه ولا نفع (٤).

التضمين: لغة مأخوذ من ضمن «وضمن الشيء: أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر (٥)، وفي الاصطلاح فهو «قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه...» (٦).

ولا يقتصر الأمر عند أسامة ابن منقذ على تضمين بيت أو شطر منه؛ فهو يحد التضمين

٤. الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ٦٤/٤.

٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمن.

٦. القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج٢، ط٥، تحقيق: الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١، ص٨٤.

بقوله «اعلم أن التضمين هو أن يتضمن البيت كلمات من بيت آخر (7) وتتسع دائرة التضمين لدى ابن أبي الأصبع المصري، حيث تشمل الشعر والقرآن والنثر بأشكاله، إذ يقول «وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت، أو من آية، أو معنى مجرداً من كلام، أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة».

ويعود الخطيب القزويني في القرن الثامن الهجري ليؤكد مفهوم التضمين الذي أشار إليه ابن رشيق قبله، وهو «أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء» (8) وشرط التنبيه هنا يمثل الحد الفاصل بين التضمين وبين السرقة، ويرى الخطيب- في السياق ذاته- أن أحسن وجوه التضمين «أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الأصل بنكتة، كالتورية والتشبيه(9).

يقتصر التضمين على الشعر، وفيه يضمن الشاعر نظمه شيئا من نظم غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن من الأشعار المشهورة. ولا بدَّ من الإشارة إلى موضع التضمين إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء والشعراء، ومثال ذلك قول بشار بن برد:

٧. ابن منقذ، أسامة. البديع في البديع في نقد الشعر، ط١، حققه وقدم له: عبد أ. علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص ٣٥٠.

٨. القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، ج١، ط٥، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠، ص٥٨٠.

٩. القزويني، الإيضاح، ج١، ص٥٨٢.

وَذاتُ دَلٍّ كَأَنَّ البَدرَ صورَتُها باتَت تُغَنّي عَميدَ القَلبِ سَكرانا.

إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيِينَ قَتلانا.

فالبيت الأول للشاعر العباسي بشار بن برد، والبيت الثاني قاله جرير الشاعر الأموي، فبشار أُعجب بقول جرير فضمنه كلامه، وهو مناسب للمقام، ويجري مع سياق الكلام ([10]).

من هنا يظهر أثر التضمين في أنه يكشف عن ثقافة وسعة اطلاع، ولا بد لأي شاعر أن يفيد من تجارب الشعراء السابقين، «ومن المؤكد أن استمرار هذه الظاهرة في الشعر على اختلاف زمانه ومكانه إشارة واضحة إلى تفاعل الشاعر مع النص القديم» ([11])، ولا يقتصر تأثر اللاحق بالسابق على الشكل والأسلوب والموضوعات، فقد يظهر بين الحين والآخر بيت أو شطر.

الفرق بين الاقتباس والتضمين في النصوص الأدبية.

يختلف التضمين عن الاقتباس من جهة كون التضمين نقلا حرفيا أما الاقتباس فيجوز لك التغيير في الصيغة تغييرًا يلائم ما ترمي إليه، ففي الاقتباس هو تضمين ألفاظ من القرآن الكريم

١٠. سهيل سليمان، جورج شكور، داود عيد وآخرون (٢٠١٠)، الوافي في القواعد والبلاغة والعروض، بيروت– لبنان: دار الفكر اللبناني، صفحة ٣١٨.

١١. ربابعة، موسى، الاقتباس والتضمين في شعر عرار، ص ٢٣٠.

أو الحديث الشريف ويكون في الشعر كما في يكون في النثر ويجوز أن يحتفظ فيه الشاعر أو الناثر بمعنى النص القرآني أو النبوي كما يجوز أن ينقله إلى معنى آخر وفي هذه الأحوال جميعها يجوز للشاعر أو الناثر أن يغير في هذه الألفاظ المقتبسة تغيرا يسيرًا ([12]).

أما في اصطلاح البلاغيين فنجد أن الاقتباس لديهم يعني «أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه» ([13]) وإذا كان مصطلح الاقتباس خاصاً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، فإن بعض النقاد ومنهم ابن الأثير– قد تعاملوا مع الاقتباس والتضمين على أنهما شيء واحد، فالأخذ من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو الشعر سواء عندهم من حيث المفهوم؛ يقول ابن الأثير «ثم يأخذ– الشاعر–في الاقتباس من هذه الثلاثة، أعني القرآن والأخبار النبوية والأشعار» ([14]).

وبهذا نجد أن أهمية الاقتباس تكمن في أن المقتبس يأخذ كلام غيره لفظًا ليوظفه في خدمة المعنى الذي يريده وليقوّي ويسند فكرته إلى أفكار أقوى أو أشهر، بينما التضمين هو أن يأخذ الشاعر من شعر غيره ليخدم ويقوي فكرته.

١٢. أرشيف منتدى الفصيح– ما الفرق بين التضمين وبين الاقتباس– المكتبة الشاملة، متاح على موقع: (https://al-maktaba.org).

١٣. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة، ج١، ط٥، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠، ص٥٧٥، وانظر: الحلبي، شهاب الدين محمود. حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص٣٢٣.

١٤. ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص ١٠٠.

المطلب الثاني: الاقتباس في شعر أبي البقاء.

برزت ظاهرة الاقتباس في شعر أبي البقاء حتى غدت صبغة عامة في شعره وأسلوبه في أكثر من بيت شعري، ومن ذلك [15]:-

وأنتَ العروةُ الوُثقى تمامًا وما للعروة الوثقى انفصام.

وهذا البيت من قصيدة يمدح فيها أحد أمراء بني النصر، باستخدام لفظ (العروة الوثقى)، ويعدُّ هذا اقتباسًا محوّرًا مأخوذًا من قوله تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة، آية: ٢٥٦)، ويظهر هنا حسن تصوير الشاعر وإجادته الاقتباس في محل المديح، فوصفه الممدوح بالعروة الوثقى له معانٍ بلاغية عظيمة لولا إدراكه إياها ما كان استخدمها.

وظهر الاقتباس في قصيدته النونية الشهيرة في رثاء الأندلس، يخاطب فيه ولاة الإسلام أن يستنصروا بلاد الأندلس في الاستعمار وأن يدعوا كل ما يمكن أن يفرّق بينهم ويجتمعوا لنصرة بعضهم بعضًا، بحكم إخوة الإسلام، وفي ذلك يقول [16].

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ وأنتم يا عباد الله إخوانُ.

١٥. ينظر: أبو البقاء الرندي: شعره (ق٨١).
١٦. نفح الطيب: ٤/ ٤٨٦ . ٤٨٨.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وجاء في هذا البيت قوله (عباد الله إخوان) وهو موجود حرفيًّ في حديث للرسول ﷺ في قوله: **(لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)**[17] متفق عليه. وهو اقتباسٌ محوَّرٌ أيضاً من الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ (الحجرات، آية: ١٠).

وفي معرض الهجاء جاء الاقتباس حرفيًّا لدى الشاعر، رغم أنه لم يكن من أهل الهجاء بل كان مشهورًا بالعلم ورجاحة العقل، ولكنه قال في مناسبة ما عارضة أثناء استعراضه لشعرهم في الثقلاء قال ([18]):

تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها ما لها.

فقالوا أتانا أبو خالدٍ فأخرجت الأرض أثقالها.

إذ اقتبس من القرآن الكريم، وتحديدًا من الآيات الأولى من سورة الزلزلة، في قوله تعالى: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ (الزلزلة، آية: ١-٤).

ويظهر هنا تمكن الشاعر من عرض الاقتباس في موضع الهجاء به، وتوظيفه بطريقة ذكية للذم. وفي بيتٍ آخر تحدث فيه عن زوال الملك والعز وحقيقة الدنيا الزائلة في معرض

١٧. صحيح الترمذي: ١٩٣٥.

١٨. الداية، محمد رضوان، أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٦م، ص ٧٩.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

الحكمة يقول:

ألا إنما الدنيا خيالٌ وأهلها بها عرض والدهر بالكل لاعبُ.

وفيه اقتباسٌ ولو كان فيه القليل من التغيير للآية الكريمة ذات المعنى وذلك في قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (الحديد، آية: ٢٠).

ويرى الباحث هنا براعة الشاعر وإتقانه في صوغ المعنى ذاته بقالب شعري متين وجميل، يحمل في ثناياه حكمة القرآن وبلاغته، ولم يتوقف الشاعر عند ذلك بل بلغت درجة البراعة في التضمين القرآني أنه قد صاغ ألفاظ الآية نفسها في صورة أخرى أجاد الشاعر فيها تشكيلها لوصف الدنيا؛ حيث اقتبس ألفاظ اللهو واللعب والغرور من الآية نفسها في بيت آخر حين قال -:([19])

دع الغرور فما للخلد من سبب ولا قرار بدار اللهو واللعبِ.

وأورد الرندي في سياق آخر بيتًا يتضمّن معنى آية في شطره الثاني، في كلمة (الفرار) وهي تفيد معنى الهرب من شيءٍ مخيف أو مؤذي، ولكنها جاءت في القرآن الكريم ببلاغة لا

١٩. الداية، محمد رضوان، أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٦م، ص١٢٠.

نظير لها جعلت للفرار معنىً أقرب إلى اللجوء والسكينة بعيدًا عن الخوف، في قوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ (الذاريات، آية: ٥٠) ، وجاء هذا البيت في معرض الألم والعذاب من الحبيب، إذ يقول:

آهٍ من ضيعة القلوب لديكمُ وحسبنا أن نفرَّ منكم إليكم ([20]).

وهناك كلمات معينة اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم وذلك في البيت الذي أورده في مدح الأمير محمد ابن نصر، أمير غرناطة:

كأن عنقودًا تثنى به إذ صار كالعرجون عندَ السِّرارِ.

وتأتي لفظة (عرجون) هنا مقتبسة من الآية الكريمة: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ (يس، آية:٣٩)، وقال القرطبي: قال قتادة: العرجون هو العذق اليابس المنحني من النخلة، وقال الخليل بن أحمد: العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه الهلال إذا انحنى، وقال الزجاج: هو عود العذق الذي عليه الشماريخ[21].

واقتبس ألفاظًا بعينها من القرآن الكريم ضمن نونيته الشهيرة في رثاء الأندلس حين قال:

وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ برزت كأنما هيَ ياقوتٌ ومُرجانُ.

٢٠. الداية، محمد رضوان، أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٦م، ص١٢٧.

٢١. https://www.islamweb.net/ar/fatwa/ - .

فهذه الألفاظ هي وصفٌ في سورة الرحمن يصف بها الله عز وجل قاصرات الطرف اللواتي ينتظرن المؤمنين في الجنة، جزاءً ومكافأة لهم وهدية من الله عز وجل لينعموا بها، كما في الآية: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ (الرحمن، آية:٥٨)، وقد استعار الشاعر هذا الوصف ليصف به جمال الطفلة في الأندلس التي قد اعتدى عليها المستعمرون الكفّار.

وفي أول وأشهر بيت في القصيدة النونية التمس الباحث اقتباسًا ضمنيًّا من القرآن الكريم، يفي بذات المعنى، وكذلك فإنه يضم في طياته معانٍ كثيرة تأتي في صلب ما يدعو إليه الإسلام من فكرة النقصان وأن الكمال لله وأما البشر فهم خَطّاؤون وناقصون مهما بدا لهم من أنفسهم الكمال.

وأن مغريات الحياة كثيرة يأمرنا الله عز وجلّ بألا نغترَّ بها كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ (فاطر، آية:٥)، ويأتي موطن الاقتباس المقصود في الشطر الثاني من القصيدة في قول الشاعر:

لكلّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يغرَّ بطيبَ العيشِ إنسانُ.

ومن اقتباساته ما جاء في معرض الغزل من قوله ([22]):-

يا من تجلى إلى سرّي فصيّرني دكًّا وهز فؤادي عندما صعقا.

٢٢. الداية، محمد رضوان، أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٦م، ص١٢٧.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وهذا اقتباسٌ من الآية الكريمة من قوله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الأعراف ١٤٣)، وفيه براعة استخدامٍ ينبغي أن تُذكر ويشاد بها، وفيها قلب المعنى والغاية من الصورة نفسها، صورة التجلّي والظهور الذي يسوّي كل شيءٍ دكًّا ويصعق الأشخاص بقوة سطوعه وجلالته.

فقد حوّلها الشاعر من صورة تظهر جلال ورهبة الله سبحانه وتعالى حين تجلى على الجبل فصار دكًّا وحين شاهد موسى عليه السلام هول الموقف خرّ صعقًا، إلى صورة غزلية يصعق بها ظهور المحبوب قلب الشاعر ويهد أركانه بتجلّيه المهيب الساطع.

وباستعراض التعريفات السابقة للاقتباس من الشعر في النقد العربي فقد رصد الباحث مظاهر هذا الاقتباس في شعر أبي البقاء الرندي من القرآن الكريم في مجموعة من الأبيات تنوعت هذه الاقتباسات بين اقتباس محوّر واقتباس بكلماتٍ مقتبسة، ومنها ما جاء اقتباسًا حرفيًّا، ونلمح منها جميعًا قوة الصلة والتمسك بين الشعر الموروث الديني وضروب بلاغة ألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التضمين في شعر أبي البقاء.

بناءً على ما تم شرحه من أن التضمين هو الإتيان بشطر أو جزءٍ من قصيدة شاعر آخر وتضمينها في شعر جديد، فقد احتوت أبيات أبي البقاء الرندي خاصية التضمين من أبيات

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

شعراء آخرين في كثير من قصائده، وقد كان استخدامه لها بارعًا حتى أنها اشتهرت بأنها له أكثر من كاتبيها الأصليين.

نذكر في معرض التضمين مثلًا، البيت الثاني من النونية الشهيرة لرثاء الأندلس[23]:-

هيَ الأيّامُ كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ.

فشطر البيت الثاني مأخوذٌ من البيت الحادي والخمسين من نونية أبي الفتح علي بن محمد البستي [24]:-

لا تحسبنَّ سرورًا دائمًا أبدًا من سرّه زمنٌ ساءتهُ أزمانُ.

وكذلك نجد هذين البيتين أقرب ما يكون إلى قول المتنبي [25]:-

---

٢٣. نظم الرندي نونيته ليستنصر أهل العدوة الإفريقية من المرينيين عندما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملا في أن يبقى ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة وتعرف قصيدته بمرثية الأندلس. ومطلع قصيدته:-

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمَّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ.
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرَّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ.
دهى الجَزيرَة أَمرٌ لا عَزاء لَهُ هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانهَدَّ ثَهلانُ.

ولا شك بأن الرندي تأثر في كتابة هذه القصيدة بـ «نونية البستي» التي مطلعها: «زيادة المرء في دنياه نقصان»، والتي تشبهها في كثير من الأبيات، لم تطغ هذه القصيدة فقط على شعر رثاء الأندلس فحسب، إنما طغت أيضًا على شعر أبي البقاء نفسه، فكانت أم شعره وأشهر نظمه.

٢٤. بو ذينة، محمد، أبو البقاء الرندي ورثاء الأندلس، منشورات محمد بو ذينة، شارع فيصل بن عبد العزيز الحمامات، ٢٠٠٠م، ص١٠٣.

٢٥. بو ذينة، محمد، أبو البقاء الرندي ورثاء الأندلس، منشورات محمد بو ذينة، شارع فيصل بن عبد العزيز الحمامات، ٢٠٠٠م، ص١٠٤.

فلا يدومُ سرور ما سررتَ به ولا يردُّ عليكَ الفائتَ الحَزنُ.

وهنا نجد أن الشاعر الرندي قد اقتبس حرفيَّ الشطر الثاني من بيت أبي الفتح، ولكن الغريب أن المشهور والشائع هو الشطر نفسه في بيت الرندي وليس صاحبه الأصليّ، وقد يبدو الأمر غريبًا لكنه لا شكّ أن براعة الشاعر في توظيفه للبيت هي من أعطته صفة الخلود في تلك القصيدة الرثائية المميزة، التي أظهر فيها التضمين هنا جمالًا مضاعفًا.

وفي بيتٍ آخر ضمن القصيدة نفسها يقول الشاعر:

يا غافلًا ولهُ في الدَّهرِ موعظةٌ إن كنتَ في سِنةً فالدَّهرُ يقظانُ.

يأتي الشطر الثاني من هذا البيتُ متضمّنًا للبيت السابع والأربعين من قصيدة أبي الفتح علي بن محمد البُستيّ: ([26]).

يا نائمًا فرحًا بالعزِّ ساعده إن كنتَ في سِنةً فالدَّهرُ يقظانُ.

وفي البيت الثالث من نونية الشاعر يقول:

وهذه الدارُ لا تبقي على أحدٍ ولا يدوم على حال لها شانُ.

يقول الشاعر هنا متأثرًا بما حدث في المدن الأندلسية أن هذه الدار وها الدهرُ لا يبقى

٢٦. بو ذينة، محمد، أبو البقاء الرندي ورثاء الأندلس، منشورات محمد بو ذينة، شارع فيصل بن عبد العزيز الحمامات، ٢٠٠٠م، ص١٠٥.

على حال بعينه، إنما هو متبدلٌ بين أفراح غامرة وأحزان، ويؤكد هنا على أن كل نعمة مصيرها إلى الزوال، ويأتي هذا المعنى متضمنًا في معنى هذا البيت من قول الشاعر:

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ.

ويأتي التضمين هنا للحكمة، ولأخذ العبر من الأمم السابقة كما ورد في الأبيات الثلاثة الأولى، وذكر أحوال الأمم السابقة مثل: قوم عاد، والفرس وغيرهم.

وفي بيتٍ آخر في وصف القوس يضمّن ـ ببعض التحوير ـ بيتًا للمتنبي إذ يقول:

فلم أرَ قبله بدرًا منيرًا تحمّل فوق عاتِقه هلالًا.

والشطر الأول منه متضمّنٌ من قول المتنبي([27]):-

فَلَم أَرَ بَدراً ضاحِكاً قَبلَ وَجهِها وَلَم تَرَ قَبلي مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ.

ويظهر التضمين بشكل جليّ في تأثر الشاعر الرندي بنونية أبي الفتح البستي، والتي تماثل قصيدة الرندي في كثير من الأبيات، ولعل الشبه واضح كالشمس ما بين مفتاح القصيدتين والبيت الأول لكلٍّ منهما:

زيادَةُ المَرءِ في دُنياهُ نقصانُ ورِبْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ.

٢٧. ديوان المتنبي.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ومطلع قصيدة الشاعر الرندي:

لِكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إنسانُ.

الخاتمة.

تتبعت الدراسة ظاهرتي الاقتباس والتضمين في شعر أبي البقاء الرندي ضمن منهج وصفي تحليلي وخلصت إلى النتائج الآتية:

١) جسدت الدراسة حجم التأثر بالتراث الإسلامي والأدب العربي القديم بفعل ظاهرتي الاقتباس والتتضمين؛ إذ كشفت توسع الشاعر في استخدامه للاقتباس من القرآن الكريم؛ مما يوضّح مدى تمسّكه بالموروث الديني، وتعلقه به.

٢) كشفت الدراسة مكامن التضمين الذي استخدمه الشاعر من أشعار شعراء سابقين، وأظهرت حسن استخدامه لها في مواطن التعبير عن مقاصده.

٣) أجاد الشاعر الرندي التعبير عن أغراضه الشعرية باستخدام ظاهرتي الاقتباس والتضمين.

٤) أوضحت الدراسة أن ظاهرة التضمين لم تكن منتشرةً على نطاق واسع في شعر القدامى؛ بل لربما عدّوها من السرقات الشعرية.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)

ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

قائمة المصادر والمراجع.

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، د.ت.

٣. ابن معصوم، صدر الدين المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هاني شاكر، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٩٦.

٤. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٧م.

٥. ابن منقذ، أسامة. البديع في البديع في نقد الشعر، ط١، حققه وقدم له: عبد أ. علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

٦. البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١٧.

٧. بو ذينة، محمد، أبو البقاء الرندي ورثاء الأندلس، منشورات محمد بوذينة، شارع فيصل بن عبد العزيز الحمامات، ٢٠٠٠م.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى، صحيح الترمذي، مكتبة المعارف للتوزيع والنشر، الرياض،

تحقيق:الألباني، ط١، ٢٠٠٠،

٩. الداية، محمد رضوان، أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٦م.

١٠. الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، تحقيق:عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

١١. دياب، علي، «أبو البقاء الرندي ونونيته الرثائية» التراث العربي، ٢٠١٨م.

١٢. ربابعة، موسى، الاقتباس والتضمين في شعر عرار، مجلة دراسات، العلوم الأنسانية، الجامعة الأردنية، م١٩/ع١،١٩٩٢.

١٣. سهيل سليمان، وآخرون، الوافي في القواعد والبلاغة والعروض، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان،٢٠١٠.

١٤. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الأيضاًح في علوم البلاغة، تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب اللبناني،١/٥ ١٩٨٠.

١٥. القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج٢، ط٥، تحقيق: الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١.

١٦. المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٥، ١٩٩٧.

برعاية أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب

International Journal of Arabic Language and Literature Research

(IJALR)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353